



تراجيديا العنف الأبوي وتمثيلات السلطة البطريكية في السرد النسوي العربي المعاصر
- مقارنة سوسيو ثقافية لنماذج روائية مختارة -

The tragedy of patriarchal violence and representations of patriarchal authority in the contemporary Arab feminist narrative - A Socio-Cultural Approach to Selected Narrative Models -

سمية قندوزي

جامعة الجزائر 2 "ابو قاسم سعد الله
(الجزائر)

soumeya.guendouzi@univ-alger2.dz

وداد زيداني*

جامعة الجزائر 2 "ابو قاسم سعد الله
(الجزائر)

widad.zidani@univ-alger2.dz

المعلومات المقال	الملخص:
تاريخ الإرسال: 2023/05/09 تاريخ القبول: 2023/ 08/31	تسعى هذه الدراسة لكشف تجليات البطريكية والهيمنة الذكورية في الرواية النسوية العربية المعاصرة، وكيف كان تأثيرها في بناء الرواية المعاصرة، كما حاولنا كشف كيفية تشكل السرد من خلال تيمة العنف والألم وكيف تمكنت الروائيات من تجاوز السلطة البطريكية وكسر الطابوهات والمحظورات الثقافية وذلك على خلفية من البراعة الخادعة التي توهمنا أن الموضوع مجرد سرد، وهذا ما أكسب الرواية طابعا جديدا جريئا وصادقا يتطرق للحقائق التي لطالما دفنت في العرف الاجتماعي.
الكلمات المفتاحية: ✓ الكلمات المفتاحية: البطريكية ✓ الكلمات المفتاحية: الأبوية ✓ الكلمات المفتاحية: العنف	
Article info	Abstract :
Received 09/05/2023 Accepted 31/08/2023	<i>This study seeks to reveal the manifestations of patriarchy and male domination in the contemporary Arab feminist novel, and how it influenced the construction of the contemporary novel. The deceptive one that made us think that the topic is just a narrative, and this is what gave the novel a new, bold and honest character that deals with facts that have long been buried in social convention.</i>
Keywords: ✓ Keyword: Patriarchy ✓ Keyword: patriarchy ✓ Keyword: violence	

مقدمة

عُدَّت مرحلة التسعينات إحدى أهم المراحل التي تشكل فيها الفكر النسوي والذكوري خاصة مع بداية ظهور الروايات النسائية وأساليب الكتابة لديهم وكشفهم للستار الذي يخفي حقيقة الرجل الذي يُزعم أنه داعم المرأة أبًا كان أم زوجًا، ما جعل بعض الذكور المهيمنة تُجسد صورة عن النساء تُخالف التقاليد في المجتمع وعمدوا إلى غرسها به ورفضوا كل ما تقوم به المرأة من فن أو إبداع، ما جعل الفكر البطريركي يتكون في المجتمع ويُفرق بين الجنسين (الأنثى والذكر)، ممّا جعل المرأة عُرضةً للعنف الجسدي والمعنوي.

سنتساءل في هذه الدراسة عن أهم مظاهر العنف المادي و المعنوي الذي تتعرض له المرأة في المجتمع، إثر تبلور وعي ذكوري خاطئ حول المرأة، وتسليط الضوء حول "البطريركية" كنوع من الهيمنة من طرف المجتمع والزّوج والأب، مُبرزين فيه أهم مظاهره التي تُمارس على الأنثى، انطلاقًا من مفهوم العنف ومظاهره (العنف المادي و المعنوي) و مفهوم مصطلح "البطريركية" وتمثلاته في الروايات الجزائرية كعوامل تحليلية للبحث، بهدف الدعوة إلى تحرير المرأة و تبلور فكر ثقافي جديد يدعو لجعل المرأة كائنًا ذا حقوق و ذا كرامة على غير ما يراه الجنس الآخر (الذكر).

1. البطريركية بين الماهية والتشكل السردى:

تُشير البطريركية على أنها نوع من المجتمعات التي يكون فيها الأب مُسيطرًا ويستعبد النساء، وتظهر السُّلطة البطريركية في القيم والعادات التي تُفرض على الأنثى منذ بلوغها سن الرُّشد أو منذ ولادتها، وتظهر هذه السُّلطة في كل من "سلطة الأب، الزوج والمجتمع؛ أي الذكر بصفة عامة.

يُشير مُصطلح "البطريركية" إلى السُّلطة الأبوية التي تُهمش المرأة و تحتقرها، حيث يقوم النظام الأبوي على استبداد النّظم و يتميز بالعوانية، خاصة في المجتمعات العربية؛ فنجد الأب هو رب العائلة الذي يفرض على ابنته أمورًا ربما هي غير مقتنعة بها كحرامانها من التّعليم وتزويجها لأول من يتقدم لها، فالمجتمع الأبوي مُشبع بالسيطرة، و يعتبر المرأة كائنًا ضعيفًا لا يستطيع حماية نفسه، ما جعله يعتبرها مصدرًا للعار، و كل ما في مخيلة الأب اتجاه ابنته أو زوجته هو مراقبتها و خنقها بالعادات و التقاليد و يجعل من زوجته في آخر الرُّتب في العائلة، و يُتوج نفسه ملك العائلة و المُسيطر على أفرادها خاصة الفتاة، و تحدث هشام الشّرابي عن هذا الموضوع قائلاً: "إذ يقوم حيز زاوية في النظام الأبوي (المستحدث) على استعباد المرأة و من هنا كان العداء العميق والمُستمر في لاوعي هذا المُجتمع للمرأة، ونفي وجودها الاجتماعي كإنسان و الوقوف بوجه كل مُحاولَة لتحريرها حتى رفع شعار تحرير المرأة هذا المجتمع لا يعرف كيف يعرف ذاته إلا تأكيد تفوق الذكر و تثبيت هيمنته" (خالدة سعيد، 1991ص78)

هيمنة الأب تبدأ منذ ولادة الصّبي و البنت؛ فيفرح لما يبشر بالذكر ويستقبله بحماس كبير و تُقام الاحتفالات وتزف الأخبار السعيدة، في حين يكون أقل حماساً بل تكون حماسه مُنعمةً عند ولادة البنت، و لا تحظى بنفس قيمة الصّبي الاجتماعية، و منذ ولادتها تبدأ حياة الأنثى بالعيش في الدّل و الحرمان في مجتمع ذكوري و سلّطة بطريركي، فلا يجد الأقارب إلا أن يواسوا الأب بجملة: "لعل مهرها سيكون خيرًا لك"، لذلك و منذ ولادة البنت يُفكر الأب في وقت بلوغ ابنته ليُزوجها أو بالأحرى يبيعها إلى عريس غني يُقدم مهرًا أكبر من الجميع كأنه مزاد" (زكي علي السيد أبو غصّة، 2003، ص 80)

تري "وضحي بنت مسفر" إنّ "البطريركية كلمة مُكونة من كلمتين يونانيتين، أي مجتمعتين (حكم الأب) وهو من المصطلحات التي تروج في حقلي الدراسة الإنسانية (الأنثروبولوجيا) والدراسات النسوية، ويبدو أنّ هنالك فرقاً بين الاستخدام ودلالة الاستخدام في الحقلين وإن تداخلا في بعض المواضع. أما مفهوم البطريركية لدى الأنثروبولوجيا فهو يعني سيادة الأب و سيطرته على نظام الأسرة وقد يمتد إلى القبيلة، وفي البيئات البدائية قد

تكون هذه السيطرة للأُم وهو ما يسمى بالنظام الأمومي وهو المقابل للبطيريركية" (حمود رجب ، 1986، ص 57).

أما "إبراهيم الحيدري" فيحدثها في كتابه (البطيريركية أو النظام الأبوي) بقوله : " البطيريركية بُنية سيكولوجية و اجتماعية و ثقافية ناتجة عن شوط تاريخية وحضارية تتخذ طابعاً مميزاً بالنسبة إلى البنى الاجتماعية الكلية المجتمع و الدولة و الاقتصادية و الثقافة و كذلك البنيتين الجُزئيتين العائلة و الشخصية و الفردية" إبراهيم الحيدري، 2003، ص 15)

و يُواصل "إبراهيم الحيدري" تعريفه حيث يقول : " تظهر النزعة الأبوية البطيريركية في سيطرة الأب على العائلة ، فالأب هو المحور الذي تنظم حوله العائلة و هو رب البيت و عموده ..."(إبراهيم الحيدري ، 2003، ص: 310).

من خلال التعاريف المقدمة للبطيريركية ، نجد أن هذا المصطلح يُعبر عن السُّلطة و الهيمنة من الأب باعتباره السند الذي تقوم عليه العائلة، فغالبا ما تجمع علاقة الهيمنة بين الأب و أولاده.

2.1. بطيريركية الأب (أفراخ للذكر و مآتم للأنثى)

لطالما كبرت الأنثى بين أحضان مجتمع يُفضل الذكر عنها على الرغم من الأولوية التي خص بها الإسلام المرأة ، إلا أن المجتمع يرى المرأة على أنها رمز للعار و الرذيلة و يجلعون الذكر العمود الفقري للأسرة بالنسبة لهم ، و يرون المرأة على أنها ذلك الجسد الذي يقبل كل ما يُقال دون أي نقاش ، بل لم تُقدم للمرأة خيار على أن تُجيب بكلمة : "نعم" أو "لا".

في رواية (أنثى العنكبوت) جسدت لنا البطلة أحلام كيف أن أباهما فضل أن تبقى ابنته في بيت زوجها و أن لا تعود إلى بيته مرةً أخرى : " ليس عندنا مطلقاً في العائلة و لن يكون...."(قماش العليان، أنثى العنكبوت، ص 13).

في هذا المقطع السردى تُجسد لنا البطلة أحلام أولوية الذكر على الأنثى في رفض الأب لما يُسمى (الطلاق)، فالمجتمع جعل من المرأة المُطلقة عاراً أقبح من المرأة العانس، فلا بنات يُعدن من بيت أزواجهن إلا و هنّ أموات.

تمر الأنثى في حياتها بعدة مراحل من أجل أن تصبح امرأة ناضجة ، و لعل كل مرحلة تمرُّ بها تكون أصعب من سابقتها؛ فأول مراحل الأنثى هي آخرها في المجتمع ، فطفولة الأنثى تكون آخر مرحلة تمرح و تضحك فيها ، فتوديع الحياة يبدأ من سن البلوغ فالعادات جعلت من الفتاة البالغة خيراً مُفرحاً ينتظره الأب ، ليُزوج ابنته لرجل أيا ما كان شكله و عمره دون موافقة ابنته مقابل كيس من المال.

جسدت لنا بطلتنا الرواية الشقيقتان أحلام و بدرية أصعب مظاهر العنف الذي تمرُّ بها الأنثى؛ فأحلام هي البنت الصغرى للأسرة فتقول بأنها و عيت على نفسها و أمها مريضة بالمستشفى، فلم تشعر بمعنى الأمومة أو حنانها، كل من تشعر به جيداً، هو أختها بدرية الأخت الكبرى لها، والتي كانت بمثابة أمها و أختها، بل وتمثل كل شيء في حياتها، لذلك تبادلتا الحب والود والحنان المفقود.

تمكن الأب، من تزويج ابنته بدرية إلى شاب لا تعرفه من دون إرادتها أو حتى بموافقتها عليه؛ حيث لم تعرف معه للزواج طعاماً، فقد أذاقها هذا الزوج شتى صنوف العذاب.

نعم هذا الزواج التّعسفي كان تحت تهديد الأب لكونها " فتاة بالغة " و البلوغ يعني الزواج ، إذ تقول : " سيدفع زوجك المُقبل مُهرًا كبيراً ، اتفقت معه عليه، سأعطيك جزءاً منه و الجزء المُتبقى من حقي ، فقد رببتك و رعيتك ولم أبخل عليك بشيء أردته"(قماش العليان، 2002، ص 13)

جسدت لنا شخصية أحلام أقصى مظاهر السلطة الأبوية من خلال مشاهد سردية متنوعة انتشرت اليوم في مجتمع ذكوري إذ ركزت لنا الكاتبة حول كلام الأب البذيء و المستفز و هو يتحدث عن زواج ابنته كأنه بيع و شراء ، كأنه ربى كبش فداء سمين و طلب مقابلة مبلغاً ضخماً من المال إثر الطعام الذي قدمه إياه مُتناسياً ظلمه و بطشه و عُنف اتجاه أحلام ابنته غير مُبالٍ برأيها.

جعلت البطيريركية من اللون الأحمر لون ألم وقهر للأنثى و سعادة لدى الأم ، فتكون الفتاة الصغيرة مؤهلة للزواج أخيراً فالدورة الشهرية رمز على نُضج المرأة ، فيكون الزّواج - في نظر المجتمع البطيريركي - أفضل خيار لحمايتها من جلب العار لها ولعائلتها ، و تُعلم الطبخ ، المسح و الكنس لتذهب بعدها إلى بيت آخر تكون فيه بداية مرحلة جديدة من العذاب و السيطرة و القهر في هيئة لباس أبيض (بيت الزّوج).

3.1. الوجود الأنثوي بين فكي البطيريركية وسلطة الزواج:

لطالما تحلم المرأة أن تُزف إلى بيت عريسها بكل فرح و سرور لتتنام بين أحضان زوج يعوضها عن قهر أبيها ، إلا أن البطيريركية عند الزوج تُنافي معتقدات المرأة ، فبعد أن تُزف المرأة إلى عريسها تُصبح ذلك الوعاء الذي يُفرغ فيه شهوته، و يتحول بيت الزوج إلى مقبرة و مأساة كبيرة للأنثى، إذ تقول بطة الرواية أحلام: "فوجئت بصفعة تدوي في فضاء الحجرة البارد، ثم انهالت الصّفعات و الرّكلات تطول ما عجزت الشيوخة عن الوصول إليه" (قماش العليان، 2002، ص 170)

من خلال هذا المقطع تسرد لنا بطة الرواية العنف والظلم الممارس عليها من قبل الزوج بعد ظلم الأب ، فمعظم الفتيات اللواتي يعانين من التهميش و التفضيل في البيت العائلي يُفضلن الزواج على أمل أن يحظوا بحياة جميلة مليئة بالسّعادة غير أنّ القدر له رأي آخر، فتجد بيت الزوج أسوأ من بيت العائلة ، فلا تجد سبيلاً غير الصمت و تلبية مطالب زوجها خوفاً من أن يُعيدّها إلى بيت أهلها فالطلاق ممنوع و مرفوض، وأملا أن تجد لها مكاناً في زاوية بيت الزوج ، و هكذا كان رد الأب عبد الرحمان الظالم عند سماع خبر طلاق ابنته : " ليس عندنا مطلقات في العائلة و لن يكون.... ستعيشين مع زوجك و تتحملين معه كل الصّعوبات ثم تموتين معه" (قماش العليان، 2002، ص 180)

2. شبح العنف وقهر الأنوثة ومعايشة الألم في الرواية النسوية:

عرف معجم " لسان العرب " العنف على أنّه خرق القوانين وهو ضد الرفق، يقال: أعنفتهُ : بأنّه الخرق بالأمر وقلة الرفق به و يُقال " عنفته " أي عيرته و لمته و وبخته بالتقريع، و العنيف : الشديد القول، والعنف: الغلط والصلابة.

تعنيفاً: واعتنف الأمر: إذا أخذه بعنف، وأعنف الشيء أخذه بشدة، وعنفه: لأمه بعنف وشدة،

والتعنيف: التوبيخ والتقريع واللوم" (ابن منظور الإفريقي المصري: " لسان العرب"، 1997، ص 444)

يُواصل قاموس أكسفورد تعريفه للعنف ، فالعنف هو: " الضرر أو التلف أو تخريب أشياء، أو ممتلكات أو منشآت خاصة عن طريق استخدام القوة". (The oxford dictionary of english, 2000, pp1445)

و تُشير إلى طابع الغضب ، الشراسة ، الجُموح و شخص **violentia** أما أصل الكلمة فتعود لكلمة يصعب ترويضه من عدة مقاطع و كلمات ، و تُعبر عن معاني القوى و الشراسة. **Violentia** تشتق كلمة أما قاموس الخدمة الاجتماعية يعرف العنف على أنه : "القسوة و الممارسة المكثفة للقهر و القوة و عادة ما ينتج عنها إصابة أو تدمير" (Larousse, 1989, pp : 6489-6496)

يُعدُّ العنف من بين الظواهر الخاصة التي انتشرت في المجتمع كالفيروس، إلا أنه يعتبر ظاهرة اجتماعية خاصة بالإنسان كونه يتفاعل مع غيره، لذلك نجد أن التعاريف التي تناولت مفهوم العنف عديدة، أهمها أن العنف مصطلح يتخذ مختلف الأشكال والطرق.

إن العنف حسب العالمين الأمريكيين **Gurr. T و Graham. H** هو: "سلوك يميل إلى إيقاع أذى جسدي بالأشخاص، أو خسارة بأموالهم، وبغض النظر عن معرفة ما إذا كان هذا السلوك يُبدي طابعاً جماعياً أو فردياً" (Gérard pirlot, 2003, Pp : 26)

من خلال التعاريف المقدمة للعنف، يمكن اعتبار العنف على أنه ظاهرة طبيعية مُنتشرة في المجتمع تُهدف إلى المساس بحقوق شخص آخر من خلال ممارسة القوة للتعبير عن حدوث خطأ ما، إلا أن مفهوم العنف لم يلبث أن بقي في المجتمع فقط، إنما انتشر ليمس العائلات والمدارس، وأُعتبر من بني الظواهر الخطيرة والمُنتشرة التي تهدد توازن المجتمع.

ينقسم العنف إلى نوعين رئيسيين: "العنف المادي" و "العنف الجسدي"، فالعنف المادي هو كل استعمال للضرب والعنف المعنوي مثل الشتم والابتزاز والسخرية وأُعتبر كلاهما ظواهر تمس بالإنسان من الناحية المادية أو المعنوية.

أُعتبر العنف المادي (الجسدي) من بين أبرز المظاهر التي تجسد عليها العنف الأبوي وعنف الزوج على المرأة وأُعتبره بعضه الرجال أنه الوسيلة الوحيدة للتواصل مع النساء والتعبير على الرّفْض المُطلق، فكل ما هو أنثى عند المجتمع البطريكي يجب أن يُضرب ويُعنف إذا ما تجرأت ودافعت عن حقها أو حاولت شرح سوء التفاهم الذي حدث أو التعبير عن أحلامها وطموحاتها، ولعل العادات والتقاليد التي نشأت عليها الفتاة منذ الصغر جعلتها تتقبل واقعها المؤلم والمرير؛ كونها الجنس الأنثوي المرفوض، وتتجلى كل من مظاهر العنف الجسدي في رواية (أنثى العنكبوت) رواية من بين الروايات الرائعة التي حازت على جائزة رواية المبدعات التي تتحدث عن أب ظالم يظلم بناته تحت شعار العار والفضائح، يشتم ويسب زوجته ويعرضهم للضرب المبرح والعنف المعنوي والجسدي الذي جعل من بناته فريسة سهلة للموت في مصحة عقلية.

سلّطت رواية "أنثى العنكبوت" مظاهر التعنيف ضد المرأة تحت سلطة الرجال المهمين، ذلك من خلال ممارستهم للعنف على زوجاتهم وبناتهم وحفيداتهم، ويُعرضه للكثير من الشتم والسب ولم تقتصره تعنيفاته على بناته إنما على زوجته الأولى وبناته إذ تقول أحلام بطلة الرواية: "أهانك وسحقك وظلمك....ضربك حتى أدماك، ظلمك، نهيك، ابكاك، ثم ابتداءً بالسلب....سلبك نقودك ومجوهراتك، ثم سلبك حقوقك وأحلامك، و انتهى بأن سلبك عقلك حتى جُنت على يديه" (قماش العليان، 2002، ص 16).

ويواصل الأب تعنيفه حتى فقدت الأم شخصيتها وانتهى بها الأمر في مصح عقلية، "بدلاً من أن يهدئ من روعها صفعها بعنف، و ازداد صُراخها و هياجها...." (قماشة العليان، 2002، ص 17)

من خلال المقطع السردية التي عرضته لنا رواية (أنثى العنكبوت) نجد أن وجهة نظر الرواية سلطة الضوء على العنف للزوجة من طرف زوجها، فلم يكن الزوج سنداً لزوجته إنما كان يُعنف ويمارس عليها كل أنواع الضرب، ولا تزال هذه المظاهر تعيش إلى يومنا هذا في المجتمع الشرقي، فعلى الرغم من وصية رسولنا صلى الله عليه وسلم بحُب الزوجة واحترامها إلا أن المجتمع يرفض هذه التكريمات وينظر للزوجة على أنها أمة خُلقت لتطبخ، تنظف، تربي وتتلقى كل التعنيف والتكثير الذي يُمارسه عليها زوجها تحت شعار "تحملني ولا تخربي بيتك"، وهذه المظاهر لا تعتبر إلا نتاجاً طبيعياً لعادات وتقاليد مجتمع خاطئ، لذلك فالرواية تطرح بُعداً مهماً من أبعاد العنف الجسدي من طرف الرجل.

و لم يجعل الرجل من زوجته جسداً يلجأ إليها متى اشتعلت رغبته الجنسية، بل يرى الرجل أن ليس للمرأة مشاعر بل هي وعاء يفيض فيه شهواته دون أن يراعي مشاعرها ، و اختزل طاقتها ومشاعرها وأحاسيسها، لذلك ينظر للمرأة العاقر على أنها امرأة دون فائدة، وأقصى ما يواجه المرأة في المجتمع أن تكون عاقراً، ويقول خلود السباعي: " و بناء على ذلك لم يكن العقم يرتبط بالرجل بقدر ما كانت مسؤوليته تقع على عاتق المرأة... و كلما تعلق المرأة بعقم المرأة تمت إدانتها، الشيء الذي نلمسه عملياً من خلال تشجيع المجتمع للرجل على تطليقها أو الزواج بالتأنيث... بينما يتم التعامل مع عقم الرجل بنوع من التغافل و السكوت... و الدفع بالزوجة إلى الصبر و تقبل الأمر الواقع" (رياض القرشي، 2008، ص 40)

يعود الأب الظالم إلى تعنيف ابنتيه (أحلام و ندى) ، فأقدمت ندى على الانتحار في المصحبة النفسية، : " صرح بها ثم صفعها بقوة لتزداد صراخاً و هياجاً، ليزداد ضرباً لها و ركلاً حتى كادت تمت بين يديه و هو يصرخ: ستفضحنا بين الجيران... إن موتها خير لها من الفضيحة " (قماش العليان، 2002 ص 19)

إنّ المجتمع الذكوري عاش بين أحضان الاهتمام وجعله مركز المجتمع من طرف العادات والتقاليد ، ما فتح له المجال ليُعنف كل من بناته وأخته فالتقاليد اليوم تجعل من سلوك الفرد السبب الأول للتعنيف في نظر الذكر.

إنّ العنف الجسدي الذي ظهر في رواية (أنثى العنكبوت) من طرف الأب الظالم (عبد الرحمان) أظهر لنا الوجه الحقيقي لنظرة المجتمع للمرأة و بشكل خاص (الفتاة) فالأب يرى من ابنته البالغة فريسة سهلة للمجتمع ، و هذا ما أظهرته رواية (أنثى العنكبوت) و حاولت إظهاره للقارئ ، فالأب عبد الرحمان رفض التحاق ابنته للمدرسة ، تقول أحلام : " ما إن رأني أنزل من السيارة الغربية و رأى زميلتي و شقيقها حتى غاض الدم من وجهه ، سبقتي على البيت ليضربني ضرباً مُبرحاً ما زالت آثاره باقية " (بو زيد نرص حامد، 2014، ص 48)

إن العنف الجسدي لا يُقصد به الهيمنة الذكورية بل أوسع من ذلك كما أنها تُشير إلى سلطة أب مُطلقة على مستوى العائلة خاصة البنات ، لا وجود فيه للأثوثة، و كثيراً ما تتجسد سيطرة الأب على ابنته عند قبوله بزواج ابنته من رجل دون الأخذ برأيها و دون علم منها حتى تجد من نفسها بفستان الزفاف.

يتجلى العنف الجسدي في رواية فضيلة الفارق بعنوان (تاء الخجل)، حيث تروي لنا الكاتبة في روايتها قصة فتاة (يمينة) تعرضت للاغتصاب والعنف وسفك الدماء ، حيث تقول : " ليلة جاء الإرهابيون ، توسلّتهم قبلت أرجلهم أن يتركوني ، و لكن أحدهم ضربها ببندقية على رأسها فسقطت مغميا عليها... " (براهيم الحيدري: 2003، ص 54)

تروي لنا الساردة في رواية (تاء الخجل) قصة مأساوية للفتاة يمينة التي تتعرض للاغتصاب والضرب ، وقسوة الحياة والعنف الذي مارسه الأب اتجاهها، فكانت ردة فعل أبيها بالرفض قائلاً : " ليس لي بنت " ، عوض أن يساندها من أزمتها النفسية بادرها بالرفض.

أما في رواية (لم نعد جوارى) للكاتبة " سحر خليفة " فقد حاولت تسليط الضوء و تركيز القارئ على العنف الجسدي و كشفت لنا ستار حقيقة الأب و سيطرته على المرأة و العنف الذي مارسه على الأم ، من الضرب بعد السكر و السب و الشتم ، فالأب لا يستقبل خبر الاغتصاب بكل أسى و حزن على ما حل بابنته ، إنما يرفض ابنته و يُمزق اسمها من دفتر العائلة، فامرأة بلا عذرية امرأة بلا حياة.

إن العنف الجسدي الذي تعرضت إليه و لا تزال تتعرض إليه معظم النساء في المجتمع تحت شعار الفضائح و العار و المرأة عورة لا يترك آثار جسدية فقط إنما يترك آثاراً نفسية.

يعتبر العنف المعنوي من أخطر أنواع العنف الذي يُمارس على المرأة، و يتخذ عدة أشكال ومظاهر كاحتقار المرأة و اعتبارها ناقصة دين وعقل، وتجسدت هذه المظاهر في المجتمع الذكوري اليوم، فلا يحفظ الرجل سوى أن لمرأة ناقصة دين وعقل، فالآثار التي يتركها العنف المادي تتجسد على شكل عنف معنوي كالاكتئاب و الموت البطيء .

أظهرت رواية (أنثى العنكبوت) العنف المعنوي، نظراً للهيمنة الذكورية للأب عبد الرحمان على بناته، وهذا ما ترك أثراً نفسياً على بناته، فزوجته الأولى انتهت بها الأمر في مصحة نفسية، يقول الراوي: "أهانك وسحقك وظلمك....ضربك حتى أدماك، ظلمك، نهبك، ابكاك، ثم ابتدأ بالسلب...سلبك نفودك ومجوهراتك، ثم سلبك حقوقك و أحلامك، و انتهى بأن سلبك عقلك حتى جُنت على يديه"(قماش العليان، 2002، ص32)

صورت لنا رواية (لم نعد جوارى لكم) للكاتبة « سحر خليفة »قسوة الرجل على المرأة، ما جعل شخصية سهى تعيش حياتها كلها في الحزن على أمل أن يتوقف والدها عن تعنيف والدتها: "« كنت أظن أن حزني سيتوقف حين يتوقف والدي عن ضرب أمي وعن السكر، وتوقف والدي عن ضرب أمي لا لأنه تاب، بل لأن الله أخذه إليه.. وظللت أنا حزينة "(أبو زيد نرص حامد، 2014، ص 48)

يجسد هذا المقطع السردى من رواية (لم نعد جوارى) العنف المعنوي بصورة الحزن والألم ، فالعنف النفسي يترك أثراً أخطر من آثار الضرب والجلد، إنما يترك أثراً على نفسية أفراد العائلة، خاصة إذا ما نشأ أفرادها على الصراخ والتعذيب، فتتجسد عند الطفل صورة نفسية صعبة حول الحياة، وذلك ما تذكره أحلام عن حالة أطفال أبيها من زوجته الأولى:"...فوجئت بالمنظر الرهيب أمامي...أبي يضرب زوجته بكل عنف وقسوة وأولادها متعلقون بها...هي تصرخ.... وهم يبكون"(أبو زيد نرص حامد، 2014، ص49)

رواية أنثى العنكبوت صورت أحد أبشع مظاهر التعنيف والألم التي ينشأ عليها معظم الأطفال ، فتتجسد في أذهانهم صورة خاطئة عن العائلة بل يجذون منها قبراً و جحيماً و مدخلاً للموت البطيء فيموتون موتاً بشعاً ، حيث تقول الراوية أحلام : " لقد قتلتها يا أبي ألف مرة قبل أن تغتالها جدران المشفى المخيفة قتلتها يا أبي قبل أن تموت تلك الميته البشعة وكأنها قطرة مشردة بلا عائل" (قماش العليان، 2002، ص 59) تُظهر لنا شخصية أحلام في رواية أنثى العنكبوت العنف الرمزي لأبيها من خلال كلماته البذيئة التي لطالما كان ينطق بها يقول الراوي:" أو يخدر بقاموسه المعروف من الشتائم البذيئة "(قماش العليان، 2002، ص 37) فلم يلبث أن يترك الأب عبد الرحمان أثراً جسدياً بالضرب إنما يترك أثراً نفسياً على الجسد لدرجة الجنون و الانتحار.

أظهرت لنا رواية (أنثى العنكبوت) العنف المعنوي و الجسدي على بنات عبد الرحمان و زوجاته ، فالمجتمع الذكور يفضل احتقار المرأة و شتمها وسبها وذلها بأبشع الألفاظ التي تترك أثراً نفسياً واضحاً فيكون الموت أرحم من العيش مع وحوش بشرية ذكورية.

رواية (أنثى العنكبوت) لم تكن سوى نموذج للتمثيل وليس الحصر لروايات عربية جعلت من المرأة تظهر لنا في صورة سلبية، حيث يسعى الرجل لأن يُظهر لنا المرأة في أقصى صور الضعف، وتهميش مكانتها وإبراز تفوقه، فيكون كل من الزوج و الأب الأخ أول شخص يُذكر المرأة أنها كائن ناقص العقل، و حسب شخصية (فاروق)في رواية (لم نعد جوارى لكم) يقول : "إني أعجب كيف تستطيع امرأة مهما بلغت من الذكاء والجمال والدَّهاء ، أن تُسيطر على رجل و هي ليست أكثر من امرأة؟"(قماش العليان، 2002، ص 162).

و لعل النظرة الخاطئة التي ينظر الرجل بها إلى المرأة تُجسد العنف النفسي والمعنوي بحد ذاته، فنظرته تلك هي التي جعلت من المرأة تسعى للتحرر من هذه العادات، كما أن تعنيف المرأة بالصمت من بين

المظاهر التي انتشرت بشكل كبير مؤخرًا في المجتمع ، إذ " رفض الصمت على المرأة عبر التاريخ وتم التعنيم القصدي على كل ما يتصل بها بحياتها سُميت حياة النساء و ما يتصل بها ب (ثقافة الصمت)". (الفاروق فضيلة، 2015، ص 70)

3- خاتمة

تُعدُّ المُعاناة التي تُكابدها المرأة سواء من طرف الأب أم الزوج من بين مظاهر العنف المادي والمعنوي، وأما تفضيلها عن الجنس الذكوري فمن بين المظاهر التي لها دلالة هاربة و محظورة في الروايات التي يُسيطر عليها الرجل ، فالمرأة تلمح في رواياتها إلى لفت النظر للقدر الهائل من الآلام التي تُعاني منها المرأة ، سواء جسدياً أم معنوياً، بتحطيم طموحاتها و رميها للمجهول مقابل التمسك برجل آخر (الزوج) ليُعيد تكرار نفس السيناريو البشع، ولا عجب أنَّ هذا ما جعل الرواية النسوية مميزة عن غيرها كونها أولاً استطاعت كسر المحظور وتجاوز المعتقدات الثقافية وإظهار الحقائق التي يخفيها الرجل، بل ولا يتطرق إليها في رواياته، وثانياً أنها تحول وبشكل واضح التلميح لكمية القهر الذي تعاني منه المرأة خاصة مع تبلور فكرة: "الجنس" فالأنثى و منذ ولادتها تُعتبر نذيراً للشؤم، و هذا ما جعل النسيج السردى أكثر متانة فهي بفطرتها تلفت النظر إلى ما تشاء دون قصد، فما بالك إذا أبدعت المرأة وكتبت عن الحقائق التي لامست مشاعرها ، فيكون السرد هنا سرداً إبداعياً بجدارية.

4- قائمة المراجع:

1. Gérard pirlot,(2003) **la violence et souffrance à l'adolescence**, psychopathologie, psychanalyse et anthropologie 1 culturelle, l'harmattan.

2. Larousse, (1989), **grand dictionnaire de la langue française**, paris, vol 7.

3. إبراهيم الحيدري، (2003)، **النظام الأبوي و إشكالية الجنس عند العرب**، بيروت، لبنان، دار السّاقى، ط 1.

4. أبو زيد نرص حامد، (2014)، **دوائر الخوف في خطاب المرأة**، بيروت، المركز الثقافي العربي.

5. الإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، (1999)، **"لسان العرب"**، بيروت، المجلد الرابع، دار صادر.

6. حمود رجب، (1986)، **الاغتراب " سيرة مصطلح "**، القاهرة، دار المعارف، ط 2.

7. خالدة سعيد، (1978)، **"المرأة، التحرر، الإبداع"**، دار البيضاء، نشر الفنك.

8. القرشي رياض، (2008)، **"النسوية قراءة في الخلفية المعرفية لخطاب المرأة في الغرب"**، اليمن، دار حضر موت، ط 1.

9. زكي علي السيد أبو غصّة، (2003)، **"المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام"**، دار الوفاء، ط 1.

10. عامر نورة، (2005/2004)، **التصورات الاجتماعية للعنف الرمزي من خلال الكتابات الجدارية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري، قسنطينة.

11. حريز، عبد الناصر، (1996)، **الإرهاب السياسي (دراسة تحليلية)**، القاهرة ، طلعت حرب، مكتبة مدبولي.

12. الفاروق، فضيلة، (2015)، **تاء الخجل**، الجزائر، منشورات الاختلاف.
13. العليان، قماش، (2002)، **أنثى العنكبوت**، بيروت، شركة رشاد برس، ط 3.